طريقنا... الى "تغيير الانسان العربي"!

بقلم حسين مروّة

التجربة العربية الجديدة في مواجهة التحالف العدواني الطبيعي للامبريالية والصهيونية العالمية ووليدهما اسرائيل ، كانت تجربة عنيفة عميقة قاسية لم تقتصر آثارها في حياتنا القومية على كونها فتحت جراح المأساة التي اثخنت بها الامة العربية عام ١٩٤٨ ، أو كونها زادت هذه الجراح نزفا وايلاما وعمقا ، بل جاوزت ذلك الى كونها احدثت بعض الاهتزاز في كثير من القيم والمفهومات والمناهج الفكرية وغير الفكرية التي كانت ، قبل الخامس من حزيران الماضي ، تؤلف عددا من المنطلقات الشائعة عند الكثيرين منا في فهم قضايانا العربية الراهنة ، وفي تحليل الاحداث المتصلة بها ، وفي تحديد المواقف الايجابية أو السلبية حيالها ..

لقد فتحت هذه التجربة الدامية ابوابا عريضة للشك أو التشكيك بتلك القيم والمفهومات والمناهج ، ولاعادة النظر بها في ضوء ما سمي بالنكسة او الهزيمة التي انحسرت عنها التجربة ، او في ضوء ما خيل لهذا وذاك من الكتاب والمثقفين ولهذه الفئة وتلك من سائر المواطنين انه السبب الظاهر او الخفي وراء النكسة أو الهزيمة ..

وقد نال قيم الثقافة العربية قديمها وحديثها ، وقيم الادب العربي ماضيه وحاضره ، ومواقف المثقفين والادباء العرب حيال المعركة المصيرية كلها ، وحيال الجولة الاخيرة منها بالخصوص ، نصيب وافر من الشك والتشكيك معا ..

ثم نال الانسان العربي ، بنوعيته ، مثل هذا النصيب من الشك والتشكيك .. فقالوا انه انسان يعيش خارج الزمان ، متخلف ، مملوك .. وقالوا ان خسارة العرب الحرب التي واجهوا بها العدوان الاستعماري الاسرائيلي الاخير نشأت عن كونهم متخلفين حضاريا ، مع قولهم ان التخلف الحضاري هو « تأخر العقل والروح والخيال والنفس والجسد » .. ومعنى ذلك ان الانسان العربي متأخر عقلا وروحا وخيالا ونفسا وجسدا .. وبناء على هذا الرأي بالانسان العربي فسروا النكسة الحربية بعد الخامس من حزيران الماضي بأنها « هزيمة حضارية لا عسكرية » ..

لقد قيل وكتب الشيء الكثير من أمثال هذا الكلام اثناء الغمرة الانفعالية الغامرة التي أعقبت النكسة ، ولا يزال هذا يتردد على الالسنة والاقلام ، دون التفكير بالحلول العملية الايجابية ، ودون النظر الى ان الامعان في مثل هذا الموقف السلبي المطلق هو بذاته موقف غير حضاري ، وهو بذاته ارتماء في « الهزيمة الحضارية » التي يرمون بها الانسان العربي ..

وفي هذه الموجة الطاغية من الشك والتشكيك بالقيم العربية وبالانسان العربي يتحدثون عن التغيير الجذري لهذه القيم ولهذا الانسان ..

ان الحديث عن ضرورة التغيير في القيم العربية او في الانسان العربي ، بعد تجربة المواجهة الاخيرة للعدوان ، حديث سليم بذاته يدفعنا اليه عنف التجربة دفعا قويا يوقظ فينا من الاعماق جملة من الحوافز الوطنية والثورية لرؤية كل شيء في حياتنا العربية رؤية جديدة ذات أضواء جديدة ..

فليس من خلاف ، اذن ، على ضرورة التغيير ، لانه لا خلاف على ان كثيرا من القيم التي كانت مرتكزا للعرب في معركتهم الدائرة منذ حقب عدة بينهم وبين اعداء قضاياهم المصيرية ، لم يكن معظمها بالقيم الصالحة لهذا الارتكاز اما لنقص في الرؤية اليها ، واما لميوعة في حدودها ومقوماتها ، واما لاعتمادها مفاهيم ومنطلقات غريبة عن حقائق قضاياهم تلك وعن اهداف نضالهم الموصول في طلب الحلول العملية الايجابية لهذه القضايا ، وفي صلبها قضية فلسطين ..

وليس من خلاف كذلك على ان حركة التغيير يجب أن تتناول الانسان العربي بقدر ما تتناول قيم حياته ومعركته ، لانه ليس من خلاف هنا ايضا على ان الانسان العربي كان يواجه قضايا مصيره الكبرى ، احيانا ، بنوع من المواقف لا يرقى الى مستوى التحديات الملتهبة أمامه في كل جبهة من جبهات المعركة ، معركة المصير ..

ولكن الخلاف قائم على تحديد طريقنا الجديدة الى هذا التغيير المطلوب .. فلماذا الخلاف هنا ؟ ما مصدره ؟

ان الخلاف مع أمثال هؤلاء المتشككين ، يصدر عن الامور الاتية :

اولا ـ ان الشك او التشكيك عندهم يقع ، اما عن قصد او غير قصد ، في سلبية تبلغ ، باتباعها الطرق المسدودة ، حدود الهدم الى غير قرار يصلح ـ بعد ـ للبناء .. وهذا ، فضلا عن كونه مناقضا كل المناقضة للروح الحضارية التي يدعونها لانفسهم ، يلقي بالانسان العربي ـ وهم يزعمون الاشفاق على مصيره ـ في مهاوي اليأس القاتل والانهزامية المميتة .. ويبدو ان بعضهم يرى في ذلك طريقا الى النجاة من المأساة ، بدليل قوله ان المطلوب للعرب انما « نطلبه من اليائسين الغاضبين المشمئزين الهاربين التائهين المصلوبين » .. وهذا رأي

يبقى معلقا في الهواء لانه لا يجد الارض التي يستطيع الوقوف عليها ..

ثانيا ـ ان الغضب الذي يطلبونه للعرب من العرب انفسهم موجود بالفعل .. فان غضب الشبان والجماهير العربية اشفاقا من النكسة التي حدثت ومن عواملها واثارها السلبية ، بالغ حد الغليان والتوتر الروحي الشديدين ، ولكنه الغضب المنبعث من روح الكفاحية التي لا تحتاج الا الى رسم الطريق الواضح امامها للخروج من السلبية الى الايجابية في سبيل معركة التغيير ، ثم لا تحتاج ـ بعد ـ الا الى تنظيم طاقاتها الغضبية الثورية المكبوتة ، والى اعتماد القيادات الموجهة المنظمة على هذه الطاقات وثقتها بها في حمل اعباء المعركة ..

ان غضب الجماهير العربية من النوع البناء الذي لا يعني اليأس ولا الهروب ولا التيهان والضياع حتى الصلب .. فهو غضب ليس بالهدام ، وهو بجوهره يحمل مضمونا ايجابيا وان كان سلبيا في ظاهره ..

ثالثا ـ ان تغيير الانسان العربي ، او تغيير قيم الفكر العربي والثقافة العربية ، له طريقان : طريق يعتمد المنهج المثالي الذي يعني ان نترك المعركة القائمة الملتهبة أمامنا ، الشديدة الالحاح علينا بأن نخوضها دون تردد ولا انتظار ولا تسويف .. نتركها لنفرغ الى معالجة النفس العربية في عالمها الداخلي وحده ، انطلاقا من المفهوم الميتافيزيقي بأن العالم الداخلي هذا هو الاصل والمنبع ..

والطريق الثاني ، هو الطريق الواقعي الذي يعني ان نضع اقدامنا في أرض المعركة ، وان ندخل في لهب الكفاح المشتعل بالفعل دون انتظار ، لان هذا الموقف هو الذي يصهر النفس العربية ويمتحن طاقاتها ويضعها في قلب التجربة حتى يستخرج أصلب معادنها ويبلور أفضل عناصرها .. وبهذا الطريق يحدث التغيير المطلوب بالممارسة الواقعية العملية ، اي ان الممارسة هذه تؤدي بطبيعتها الى تغيير جذري في القيم ذاتها وفي الكينونة الروحية والفكرية للانسان العربي ، انطلاقا من ان كينونة العالم الداخلي نتيجة لا سبب ، فهي نتيجة لانواع العلاقات التي يمارسها الانسان عمليا في مختلف مجالات النشاط الانساني ضمن المجتمع ..

والذين يدعون للتغيير في القيم وفي الانسان ذاته ، اثناء ظروف التوتر الانفعالي بعد انتكاسة المواجهة العربية العسكرية للعدوان الاخير ، يبدو انهم يختارون الطريق الاول للتغيير ، لانهم يفسرون الانتكاسة هذه بالتخلف الحضاري ، ويفسرون هذا التخلف بأنه « تأخر العقل والروح والخيال والنفس والجسد » .. فعلينا ، اذن ، أن نترك المعركة الان حتى نحقق المطلوب من « تغيير الانسان العربي » ، اي حتى نقضي على تخلفه الحضاري ، اي حتى نربي منه العقل والروح والخيال والنفس والجسد تربية جديدة تقتلع من داخله جذور التأخر .. ولكن ، كيف تكون هذه التربية لكي يحدث التغيير المطلوب ، وما منهجها ، ما وسائلها ، ما أساليبها ؟.. ليس عندهم من جواب عن هذه الاسئلة اطلاقا ، لانهم لا يعرفون الجواب ، او لانهم ـ واعني بعضهم فقط ـ لا يقصدون من طلب التغيير الا اثارة الشك بالانسان العربي والحكم عليه ، اعتباطا ، بأنه فاقد ميزة الحضور الانساني في كونه وعصره وتاريخه وآفاق مستقبله .. وهم يعنون بهذا الفقدان تخلفه الحضاري ..

رابعا ـ اننا نجادل في أصل هذا الشك ومنبعه .. فمن أين ينطلقون به حقيقة ؟..

هناك من يقول ان العرب لو كانوا متقدمين حضاريا وخسروا الحرب ، لما كانوا خسروها بهذا الشكل .. وهناك من يقول ان « تاريخنا مليء بالكوارث . كانت الواحدة تأتي اثر الثانية ، منذ سقوط الخلافة العباسية ، مرورا بالعهد العثماني ، وبالاستعمار الذي يستمر او يتجدد حتى اليوم . لكن هذه الكوارث لم توقظنا ، لم تغير في عقليتنا ونفسيتنا شيئا » ..

اننا نجادل في هذه المنطلقات ذاتها .. وينبغي ان اوضح ، قبل الدخول في المجادلة ، انني اضع المسألة ، هنا ، على صعيد الحوار الفكري بدافع البحث عن الحقيقة والاخلاص لها ولهدف معرفة الطريق الصحيح الموصل الى تغيير الانسان العربي ، دون أي قصد الى التجريح او ما يشبه التجريح بأصحاب هذه المنطلقات ، في حين انني على يقين بأن بعضهم انما يصدر في أحكامه عن اخلاص عميق وعن مرارة روحية وتمزق نفسي نبيل جدا ..

***

وبعد ، فان امامنا دعويين : دعوى تقول بان الشكل الذي خسر به العرب الحرب الاخيرة هو الذي يكشف ان الخسارة ناشئة عن فقدانهم للتقدم الحضاري .. ودعوى تقول بان كوارثنا التاريخية منذ سقوط الخلافة العباسية الى اليوم لم توقظنا ولم تغير في عقليتنا ونفسيتنا شيئا ..

يبدو لي ان مضمون كل من الدعويين ينتهي الى مضمون الاخرى .. فان عدم قدرة الكوارث المتلاحقة ، في المدى التاريخي ، على احداث تغيير ما في عقلية شعب ونفسيته ، هو بذاته فقدان هذا الشعب قدرة التقدم الحضاري .. لذلك يحسن وضع المسالة ، في هذا الحوار ، كاملة دون تجزيء ..

ولكن لا بد من دخول المسالة ، اولا ، بهذا السؤال :

ـ ما طبيعة الشكل الذي كانت به خسارة العرب لهذه الحرب ، وكانت به الدلالة على نفي تقدمهم حضاريا ؟ ..

لعل المقصود تلك الهزيمة التي اصابت الجيوش العربية او بعضها بسرعة ، عند التصدي للعدوان ، دون ان تطول المعركة وقتا يصح فيه ان تسمى معركة حقا ..

لا خلاف في ان العنصر البشري كان العامل الاظهر في هذه الهزيمة .. ولكن العنصر البشري في الحرب ليس هو الجندي وحده ، ولا هو الضابط الصغير الذي يقود الجندي مباشرة ويشارك في القتال مباشرة .. فهناك ، فوق هذا وذاك ، القائد الآمر والمخطط بمستوياتهما الهرمية المعروفة ، وهناك فوق هذين كليهما ووراءهما العنصر السياسي ، فليست الحرب ، مهما كان نوعها ، عملية عسكرية خالصة ..

يوم يتاح لنا أن نقرأ تاريخ هذه التجربة القاسيـــة بتفاصيلها غطائها سنعرف أن هذه الجيوش لم تنهزم لنقص في شجاعة جنودها وضباطها ، أو في روحهم المعنوية ، او فـــي حرارة حماستهم للقضية التي يدافعون عنها ، أو في رسوخ روح المسؤولية فيهم أمام معركة المصير التي يخوضونها .. سنعرف أن شيئا اخر غير كل ذلك يكمن وراء الهزيمة بالشكل الذي حدثت به الهزيمة .. ومن العسير أن يتضح لنا هذا « الشيء الاخر » اذا لم نرجع الى طبيعة القضية نفسها التي تدور عليها معركتنا العربية في الاساس ، وليست قضية فلسطين ذاتها جزءا منها ..

***

ان القضية بأساسها وجوهرها قضية صراع كان لا بد من حدوثه في ظروف نمو الحركة العربية التحررية التي نشأت بذورها الاولى منذ أواسط القرن التاسع عشر ، ثم أخذت طريقها الى التجذر فـــي الارض العربية قبيل الحرب الكونية الاولى وبعدها ، ثم بدأت تخـرج طلائعها الى النور بشكل انتفاضات جماهيرية شعبية أو ثورات مسلحة منذ العشرينات في هذا القرن لمكافحة الاشكال القائمة في هذا البلـد العربي وذاك من التسلط الاستعماري ، احتلالا كان بقوة الفتح والغزو أم انتدابا من عصبة الامم يستر وجه الاحتلال .. وفـــي الاربعينات استفحل نمو الحركة العربية التحررية في ظروف نشوء حركة التحـرر الافريقية الاسيوية بعد الحرب الكونية الثانية وانتصـــار الحلف الديمقراطي الدولي ضد الحلف النازي الفاشي المندحر ، وكان استقلال لبنان وسورية احدى الثمرات الاولى لحركة التحرر العربية في تلـك الظروف نفسها التي ظهر فيها المعسكر الاشتراكي كنظـام عالمي .. واستمرت الحركة العربية التحررية في نموها وتأصلها منذ بـــداءة الخمسينات اذ ظهرت فيها أولى العوامل المهدة لتحولها الى حركةثورية اخل فيها مرحلتا التحرر الوطني والتحرر الاجتماعي ، أو الثـورة الوطنية والثورة الاجتماعية التقدمية .. ومن هذه العوامل التمهيدية قيام ثورة ٢٣ يوليه (تموز) عام ١٩٥٢ في مصر ، ثم تأميم قناةالسويس، ثم انحسار اثار العدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦ الذي تحقق به الجلاء العسكري الاجنبي التام عن الارض المصرية بكاملها واستكمال حقيقـة الاستقلال الوطني لمصر ، ثم قيام الوحدة المصرية ـ السورية كنـــواة للوحدة العربية ١٩٥٨ ، مع قيام ثورة ١٤ تموز العراقية فـي العام نفســه ..

ان كل هذه العوامل ، بالاضافة الى عوامل أخرى من نضالات القوى الوطنية والتقدمية والشعبية في كثير من الاقطار العربية ، ومن بروز التلاحم بين قوى الثورة الاشتراكية والثورة التحررية الافرو اسيوية في الكفاح المشترك ضد الامبريالية العالمية ـ نقول : ان كل هذه العوامل قد عبدت الطريق بالفعل لتحول الثورة العربية الـى ة اجتماعية تقدمية حققت مضمونا جديدا للقومية العربية ذاتهـا وهيأت الظروف المؤاتية لاستقرار هذا المضمون في مفهوم الوحدةالعربية التي كانت تنضج ، خلال ذلك كله ، ظروف تحقيقها كهدف كبير لشعوب الامة العربية .. وقد ظهرت بين طلائع هذا التحول تدابير التأميـم التي أحدثها حكم الوحدة المصرية ـ السورية عام ١٩٦١ .. ثم توالت هذه الطلائع في الجمهورية العربية المتحدة ، ثم في سورية بعد ثـورة ٨ شباط ١٩٦٣ ، وفي الجزائر بعد انتصار ثورتها الوطنية ، وفـي اليمن بعد نجاح الثورة التي نفضت عن صدر الشعب اليمني كـابوس الحكم الملكي الاقطاعي المتخلف ، وحتى في ثورةعدن وجنوب اليمن المحتل حاليا ، لانها ثورة تحمل مضموني الثورة الوطنية والاجتماعيةمعا..

***

قصدت من هذا العرض الاجمالي أن أصف الحدود البارزة لارض الحركة العربية التي يدور عليها الصراع البالغ في هـذه الايام اقصى مدى التوتر والاحتدام ..

يبقى أن نحدد طرفي هذا الصراع حتى نصل الى جوهر القضية..

انه الصراع بين قوى الثورة العربية للتحرر الوطني والتقدم الاجتماعي الحضاري وبين قوى الثورة المضادة لها .. وهذه الاخيـرة تستوعب ، في معسكرها المناهض للثورة العربية ، قوى الاستعمار العالمي والصهيونية العالمية ووليدها اسرائيل ، وقوى الرجعية المحلية المرتبطة مصالحها ، عضويا ، بمصالح الاستعمار والصهيونية .. ولا تجزىء في الواقع بين الاستعمار والصهيونية وقاعدتهما ، بل الترسانة العسكرية لهما : اسرائيل ..

اذا رجعنا الى الثورة العربية هذه نستعرض مراحل نموهـا وتطورها وتحولاتها ، بدهتنا حقيقة ذات شأن كبير في جلاء موضوعنا.. هذه الحقيقة هي أنه كلما بدا لمعسكر الثورة المضادة أن الثورة العربية، خلال مسيرتها الطويلة ، توشك أن يشتد ساعدها ، أو أن ترسـخ جذورها أكثر فأكثر في أرض العرب ، أو أن تتعمق مفاهيمها التحررية والتقدمية في نفسية الجماهير العربية ، أشتد هذا المعسكر الاستعماري الصهيوني الرجعي في مقاومتها والتآمر عليها وتأليب مختلف وسـائل المقاومة والتآمر لسحقها من الاصول .. حتى اذا وجدها ، في مرحلتها الحاضرة ، قد ازدادت تأصلا ورسوخا وامتدادا ، ووجدها ازدادت تلاحما مع قوى الثورة العالمية بمختلف فصائلها الاشتراكية والتحررية والعمالية ، رفع يديه عليها شاهرا خنجره الاثيم الذي اسمه اسرائيل ليسدده الى مكان المقتل من صدرها .. وكان المقتل الذي قصد اليه ، أول ما قصد ، نظام الحكم التقدمي في كل من الجمهورية العربيـة المتحدة والجمهورية العربية السورية ، والبقية تأتي ! ...

***

مراقبـــة مراقبـــة

مراقبـــه مراقبـــة

***

هنا ينهض امامنا سؤال يلد عدة اسئلة

هل من شعب متقدم حضاريا خلت صفوفه من امثال ذوي «الاقنعة» هؤلاء ؟ .. وهل من شعب مني بأمثال هؤلاء قد استطاع تجنب نكسـة أو هزيمة كمثل النكسة أو الهزيمة التي أصابت العرب أخيرا ؟ .. بل نقول للمشككين بالانسان العربي في بلادنا : ان شعوبا أوروبية يثقون هم كل الثقة بتقدمها حضاريا الى مدى بعيد في التقدم ، قد أصيبت بافدح وافجع مما اصاب العرب من هذه الهزيمة ، وكـان « الطابـور الخامس » من أبنائها يد طولى في هزيمتها .. فهل خطـر لهـم ان يتخذوا ذلك شاهدا ودليلا على تخلف هذه الشعوب الاوروبية التـي يعرفونها جيدا ، وربما يحبونها جيدا ، في المجال الحضاري ؟ ..فلماذا ـ اذن ـ يمعنون تشكيكا بالانسان العربي الى هذا الحد ، لان هزيمـة عسكرية نزلت به لاسباب لا يتحمل تبعاتها سوى افراد قلة لا تربطهـم بالانسان العربي النوع غير رابطة النسب وحدها ؟

هذا أولا .. وأما ثانيا فان الهزيمة تقاس بمدى الهدف الـذي

قصد اليه العدو حين دبر عدوانه ونفذه .. وهل كان الهدف الاول والاهم للعدوان الاستعماري الاسرائيلي الاخير غير اسقاط نظام الحكم التقدمي في الجمهورية العربيه المتحدة وسورية ؟ .. فهل حقق العدوان هدفه هذا ، وهل حصلت الهزيمة العربية فعلا بالنسبة لهذا الهدف؟..

وأما ثالثا فان الهزيمة العسكرية هذه نفسها قد أثبتت حضارية الانسان العربي على وجه كان ينبغي أن يراه بعض هؤلاء المشككين ، وأن يكبروا شأنه ، ونحن نعلم اخلاص هذا البعض ونعلم قدرته على الرؤية .. وذلك ان الانسان العربي – أعني الشعوب العربية كلها وفي مقدمتها شعب الجمهورية العربية المتحدة بالذات – سرعان ما وضع يده على جراح الهزيمة في نفسه يكبت نزفها ليثب وثبته العظيمة ليل ٩ حزيران الماضي واليوم التالي له ، كي يمنع الكيد الخفي الذي أحس ، بصدق فراسته الحضارية ، أنه يكاد يحقق الهدف الاول للعدوان ، وهو اسقاط عبد الناصر عن مكان القيادة للثورة التقدمية ، تمهيدا لاسقاط الثورة نفسها .. وقد استطاع الانسان العربي منع هذا الكيد بالفعل ، فحقق بذلك ثورة جديدة نبعت من قلب الشعب وضميره ، ومن القيمة الحضارية التي يأخذ بها قلبه وضميره ، أعني قيمة الحرية : حرية الانسان ..

***

ان شعبنا يؤمن بقيم الحرية ، ويجعل أرضه كلها ميدانا لمعركة طويلة تمتد أكثر من مئة عام من تاريخه الحديث للكفاح في سبيل هذه القيم ، وفي سبيل أن تتجسد هذه القيم في حياته مجتمعا حرا متحررا من قيود العبوديات والتبعيات وأنواع التسلط الخارجي والداخلي – نقول : أن شعبا بهذه المنزلة من الاستمساك بقيم الحرية والدأب الطويل الصامد الصابر في الكفاح من أجلها ، ليس الا من باب الظلم والتجني الغريب عليه أن يتهم بأنه متخلف حضاريا ، وليس يصح لمفكر وشاعر كبير مخلص من أبنائه أن يدعي عليه بأن الكوارث المتلاحقة في تاريخه لم تغير من عقليته ونفسيته شيئا ، في حين أنه يخوض معركة الحرية منذ عشرات السنين ، ويقدم التضحيات لها بسخاء ، ويموت في ميادينها الالوف من أبنائه ، ولا يزال الذين يرغبون في الموت من أجل قضية الحرية أكثر من أن يحصيهم العد ..

أليست الحرية قيمة عظيمة من القيم الحضارية ؟ ..

ألم يخرج الانسان العربي من ظلمات القرون الغابرة ومن كهوف الاستبداد السحيقة ، فجأة ، وهو مثقل بتراث هائل من الكوارث التاريخية الرهيبة ، فاذا هو يحدث الانتفاضة تلو الانتفاضة والثورة بعد الثورة ، في هذا البلد العربي وذاك ، وفي هذه الحقبة وتلك ، كفاحا متواصلا لكي يدفع هذا الاحتلال وذاك عن وطنه ، ولكي يجلي هذا المستعمر وذاك عن أرضه وتراثه وخيرات بلاده ، ولكي يحقق الحرية لجماهير شعبه ؟ ..

لقد استطاعت الثورة – معركة الحرية والمصير ، في بلاد العرب ، ولقي فيها الانسان العربي الهزائم بعد الهزائم ، وما يئس واستسلم ، ولا نفد صبره وأخلى ميدان المعركة ، حتى بدأ يذوق طعم الانتصار منذ نحو ربع قرن تخللته بعض الهزائم .. والا فمن أين نبعت هذه الثورة العربية التي يحقد عليها الاستعمار هذا الحقد الهائج ويتآمر عليها هذا التآمر اللئيم ؟ .. والا فلماذا يحقد الاستعمار هذا الحقد ويتآمر هذا التآمر ؟ .. والا فكيف بقيت هذه الثورة تزداد عمقا واتساعا واشتعالا مع الزمن لولا أنها ليست من صنع أفراد نخبة ، بل من معدن الشعب الاصيل ذاته ؟

هل يصح القول في الانسان العربي ان الكوارث لم تغير من عقليته ونفسيته شيئا وهذه عقليته ونفسيته تتململان هذه الايام على جمرات الالم من عمق ما حفرته المأساة الطارئة في قرارة ذاته ؟ ..

أليس الالم بذاته لمثل هذه المأساة علامة الحياة المستوفزة في قلب المأساة ، ودليل الحضور الانساني المتوهج في الكون الحضاري وفي طريق المستقبل ؟ ...

***

ان طريقنا الى تغيير الانسان العربي طريق معبد وواضح ، هو الطريق الذي شقها هذا الانسان نفسه بيده منذ بدأ معركته ، معركة الحرية والمصير ..

وما دام الانسان العربي صامدا في معركته هذه ، وهو صامد بالفعل ، فان المعركة ذاتها ، بتحولاتها المتلاحقة ، كفيلة بابداع أسباب التغيير الدائم في كينونته الحضارية ..

ان تغيير الانسان ، وتغيير قيمه الانسانية والاجتماعة والفكرية انما يأتيان من ممارسته الحياة ، ومن تعميقه الصلات ما بينه وبين الحركة الجوهرية للحياة ..

أما التشكيك اليائس الهارب التائه فهو وحده الطريق المسدود الذي ينتهي بصاحبه وبمن يتأثر خطاه الى شيء اخر ليس هو التغيير الحضاري على كل حال ..

وأما الانسان العربي ، فهو واضع قدميه على طريق التغيير التقدمي ما دام لهب المعركة ، معركة الحرية والمصير الحر ، يتأجج في وعيه وضميره ووجدانه ، وهو متأجج حقا وواقعا وان لم يره الشاكون والمشككون ، المخلصون منهم وغير المخلصين ..

حسين مروة

مؤسسة نوفل للطباعة والنشر

و

((بيت الحكمة))

يقدمان

للمؤرخ والصحفي الشهير ريمون كارتييه

(في جزئين)

يطلب من جميع المكتبات

ومن مكتبة انطوان – شارع الامير بشير